

## السنيون والشيعة

للأستاذ أحمد أمين

بهذا العنوان كتب الأستاذ « محمد رضا المظفر » من أفاضل علماء التجف مقالاً قياً في ( عدد الرسالة ١١٨ السنة الثالثة ) ؛ وقد استهلها الأستاذ بالعجب من أن أكون كاتب « فجر الاسلام » وضحاه ، وكاتب « مقدمة تاريخ القرآن » للأستاذ الزنجاني معاً وأن « النعمة التي ظهرت مني في هذه المقدمة نعمة متواضعة على وتر من إحساس جديد » وأنها على عكس ما ظهر مني في فجر الاسلام وضحاه ، وفسر ذلك بأن لي « شخصيتين تباعدتا على قرب المهدي بينهما »

والحق - يا أخى - أن النعمتين صدرتا عن نفس واحدة كانت تكروه الخلاف بين السنيين والشيعة أشد الكره وأعظمه يوم كتبت فجر الاسلام وضحاه كما كانت تكهره يوم كتبت مقدمة تاريخ القرآن ، وكما لا تزال تكهره إلى اليوم

وكل مظاهر الخلاف بين القولين سببه أتى بمحت في فجر الاسلام وضحاه مذهب الشيعة كما يبحثه كل عالم ، وحاولت جهدي أن أنزع التعصب جانباً ، وأن أتنامى أتى سنى أكتب عن الشيعة ، وأملأ نفسي عقيدة أتى مؤرخ يتطلب الحق حيث هو - ومن أجل ذلك تقدمت السنيين كما تقدمت الشيعة ، وقلت ما اعتقدته الحق في هؤلاء وهؤلاء ، ووضعت الفرقتين في كفتي ميزان ؛ فإذا قلت إن بعض الشيعة وضمو بعض الأحاديث قلت إن بعض السنيين وضمو بعض الحديث أيضاً ، لأنى اعتقدت الحق في ذلك ؛ وهكذا سرت على هذا المنهج دائماً وأنصفت المتزلة في بعض آرائهم ، والخوارج في بعض آرائهم ، والشيعة في بعض آرائهم . مع أن المادة جرت أن السنيين لا يرضون عن شيء من ذلك ، فأسلوبي في الحاليين طلب الحق حيث كان ، وإذا كان ديننا يتطلب منا أن نزن الحق في ذاته من غير أى اعتبار آخر سواء كان مصدره مسيحياً أو يهودياً أو وثنياً ، فبالأحرى نزنه إن كان مصدره معتزلياً أو خارجياً أو شيعياً ؛ وكل ما فى الأمر أن بعض إخوانى من الشيعة أخطأوا من ناحيتين : الأولى أنهم دائماً طبقوا ما أقوله عن الشيعة على أنفسهم ، وفهموا أنى

لا أعنى بالشيعة فى كل موضع إلا إمام ، مع أن الشيعة كما يعلمون فرق مختلفة لا حصر لها ، وأن منها النالى المعمن فى غلوه ، ومنها المعتدل القريب من الأنصاف ، وليست الأمامية التى يدن بها أهل العراق وفارس إلا فرقة واحدة من فرق عديدة ، بعضها باق إلى اليوم ، وبعضها عانى عليه التاريخ ؛ فخطأ محض أن يظنوا أنى كلما قلت « الشيعة » عنيتهم ؛ وإنما يكون لهم الحق كل الحق أن يفهموا أنى أقصدهم عندما أتكلم على الأمامية أو الاثنى عشرية - والمؤرخ يجب عليه أن يؤرخ الماضى كما يؤرخ الحاضر ، وأن يذكر الغلاة كما يذكر المعتدلين ، فإذا غاب الغلاة فليس عليه إذا فهم قوم منه أنه يمتهمهم

والناحية الثانية هى مادعوت إليه فى « مقدمة تاريخ القرآن » من أنه يجب على العلماء من الطائفتين أن يوسعوا صدرهم للنقد التزيه « وبتلقوا النتائج بصدر رحب » ، فهذه شيعة العلماء حقاً ، فكلم أخطأ الشيعة وكلم أخطأ السنيون ؛ فواجب الباحث أن يبحث المسائل حراً طليقاً ، ويتأهب للبحث وهو على الحياد بالنسبة للنتائج ، فسواء خرجت النتيجة صفراء أو سوداء لا يهمه ، لا أن يعتقد أولاً ثم يبحث عن البرهان الذى يؤدى إلى النتيجة التى اعتقدتها من قبل ، فذلك ليس شيعة العلماء المخلصين للحق . وكل ما فى الأمر أن الواجب أن ينحى المامة وأشباههم عن الدخول فى مثل هذه الباحث لأنهم لا يستقيفونها ولا هم مهيتون لها ، وليست تنفعهم فى دينهم ولا دنياهم

بهذه الروح بحثت ، ولا أدعى العصمة ، فقد أكون أخطأت ؛ وقد وجه بعض إخوانى من الشيعة نظرى إلى أنى حين بحثت عولت على مصادر أهل السنة أكثر مما عولت على مصادر الشيعة ، وكان الواجب ألا يعتمد فى كلام خصم على خصم ، وأن ينظر فى قول كل فرقة إلى حكاية أصحابها وخصوبها معاً ، ثم يحص الحق من ذلك كله ؛ وقد أصفيت إلى هذا القول واقتنعت بصحته ، فلما أردت أن أكتب فصل الشيعة فى الجزء الثالث من ضحى الاسلام توسمت ما وسعنى فى قراءة الكتب المعتمدة عند الشيعة ، ولا أزال ألقبها ظهراً لبطن وأفكر فيها من وجوهها المختلفة حتى ينتلج صدرى للحق وأومن بما يقوم عليه البرهان من غير تحزب لناحية - وإيس يتطلب منى أكثر من ذلك . وإنما يتطلب من قادة الرأى فى الشيعة والسنيين

أليس من السخف أن يتقاتل طائفتان على خلاف تاريخي  
أكان على أحق بالخلافة أم أبو بكر وعمر ، وعلى أبو بكر وعمر  
في قبورهم لا يمنون بشيء من ذلك ؟ أم ليس من السخف أن  
يتعادى طائفتان مسلمانتان تتران كل أسس الاسلام من أجل  
اختلافهما في جزئيات صغيرة في أشكال الوضوء وما إليه ؟ أم ليس  
من السخف ألا يقر الشيعة بعلم ولا فضل ولا فكرة ولا عمل  
مجيد إلا إذا صدر من شيىء ؟ وألا يقر السنيون بعلم ولا فضل ولا  
فكرة ولا عمل مجيد إلا إذا صدر من سنى ؟ .. لا لا أيها القوم !  
جعفر الصادق رجل عظيم ، وأبو حنيفة رجل عظيم ، فلنزر شيعة  
العراق بأخنيفة لعظمته ، ولنزر سننو العراق مشهد الحسين لعظمته ؛  
والأمهات بلدن النوابغ على السواء ، فلم تضن على الشيعة بنوابغ  
ولا على السنين بنوابغ ، كالم تضن على الأمم الأخرى بنوابغ ،  
فحصر كل فرقة تعظيمها لرجال فرقها ضيق في النظر وفقر في الفكر  
وإذا زال هذا كله وأمثاله — وهي فيما أرى من البديهييات —  
رأينا الخلاف قد تبخر ولم يعد له أساس ، ولا يبق إلا عند  
المؤرخ والباحث ، والمؤرخون والباحثون دائماً متصافون متى  
كان رائداهم الحق ، وشعارهم الصدق ، ولم تطوح بهم الأغراض  
والشهوات

ليس من وسيلة تدرأ هذا الخلاف إلا أن يتقدم علماء اليوم  
من الغريقين فيمحوا الآثار السيئة التي خلفها علماء الأمس  
ولعل أصلح بقعة لذلك هي العراق ، لأنها أشد البلاد مظهرأ  
لهذا الخلاف ، فيتعاون رؤساء الطائفتين لعقد مؤتمر في بغداد  
من رؤساء السنين والشيعة ، ويبحثوا وجوه الخلاف وكيف  
ترال في جو هادى مخلص ؛ وأسبق الطائفتين إلى هذه الدعوة  
أفضلهم ، ولا يجملوا للعامة والقوغاء سلطاناً ، وليحذروا من  
أصحاب المطامع والشهوات ودساتهم ، وليجعلوا شعارهم في  
كل مجتمع وعند كل خلاف «مسلمون قبل كل شيء» «مسلمون  
قبل أن نكون شيعة وسنين»

ولا بأس أن يدعوا قادة الفكر في مصر والشام والحجاز  
للإشتراك في هذا المؤتمر والتشديد في حصر أغراضه في إزالة  
الخلاف بين سنى وشيىء ، فلا يحسون أى موضوع آخر ، ثم  
يرسمون الطريق السلى لازالة هذا النزاع من تزاور الطائفتين ،  
وأخذ شعار لهذا الوفاق ، وتبيين يوم يتخذ عيداً يذكر بهذا

ألا يضيق صدرهم حرجاً مما يقال متى خلصت نية القائل —  
وعلى القائل والكاتب أن يمدد إلى الحق والحق وحده ، وأن يقوله  
في أدب لا في تهازل وسباب

وليس من الحق ألا يرضى الشيعة عن المؤرخ إلا إذا مجد  
كل عقائد الشيعة وصوبها ، كما ليس من الحق ألا يرضى السنيون  
عنه إلا إذا مجد كل عقائدهم وصوبها ، فالؤرخ قاض عادل لا يهمله  
من رضى ومن غضب ، وهو لم ينصب للأرضاء والأغضاب ،  
إنما نصب ليتعرف الحق ويجهر به

هذا ما أردت أن أقوله من الناحية العلمية ، وأرى من وراء  
ذلك كله إلى القول بأن البحث العلمى شىء والنزاع والنصام شىء  
آخر ، وأن البحث العلمى لا يتمتع التغامم والثام ، بل هو إذا نظر  
إليه النظر الواسع العالى سبب من أسباب الألفة

أما الناحية العملية في الوفاق فسهلة ميسورة متى أخلص  
القادة في ذلك — وهي في هذا الزمان أبسر وأسهل ؛ وإذا كانت  
الوطنية قد استطاعت أن توفق في مصر بين الأقباط والمسلمين ،  
وفي سوريا بين المسلمين والمسيحيين ، فكيف لا تستطيع المصالح  
المشتركة القوية الواضحة ألا توحد بين الشيعة والسنين وم أهل  
دين واحد يجمعهم الايمان العميق في صدورهم بأن لا إله إلا الله  
وأن محمداً رسول الله وأن كل الخلاف بينهم موجات على السطح  
وفقائيع في الظاهر يستتلبها أهل الجاه والمال والرياسة فيوهمون  
أنها كل شىء في الدين ، وليس ذلك بصحيح إلا إذا كانت فقائيع  
الماء كل الماء ، وأمواج البحر هي كل البحر ، وزيد السوائل  
كل السوائل ، والعامة الخضراء والحمرأ والبيضاء هي كل الاسلام ؛  
فالخلق أن الاسلام أعمق من ذلك كله ، وما الخلافة والنزاع عليها  
والفروق الخفيفة في مظاهر الوضوء والصلاة والزواج والطلاق  
ونحو ذلك إلا أشياء تافهة كل التفاهة بجانب القواعد الأساسية  
لدين ، والفرق بينهما كالفرق بين مظهر الانسان وقلبه ، وبين  
ملبسه ونخبه . ليكن الايمان بالأسس في القلب ، ثم ليكن المظهر  
ما يكون ، فالله ينظر إلى قلوبكم لا إلى صوركم

وليقل علماء الدين سنيون وشيعة من تمسكهم بالمظهر ومحافظتهم  
على وجعتهم في قومهم وأتباعهم وما يغله ذلك عليهم ، يروا أن  
الوفاق أقرب ما يكون وأسهل ما يكون ويضحكوا ويكفوا من  
سخافات السلف والخلف الذين أثاروا النزاع على التفاهة وتركوا الباب